المادة: المدارس اللسانية **الأستاذ: فريد زغلامي**

المستوى: السنة الثانية دراسات أدبية

المحاضرة الخامسة: حلقة براغ 02

تُعدّ حلقة براغ اللسانية من أبرز المدارس التي أسهمت في تشكيل اللسانيات الحديثة خلال القرن العشرين، فقد اضطلعت بدور أساسي في تطوير التصور البنيوي الوظيفي للغة، وأسهمت في إرساء أسس الفونولوجيا الحديثة، كما امتد تأثيرها إلى الدراسات الأدبية والنقدية، ولا سيما من خلال الاهتمام بالوظيفة الجمالية واللغة الشعرية.

وقد تميزت الحلقة، منذ تأسيسها سنة 1926، بطابعها الجماعي وبانفتاحها على اتجاهات علمية متعددة؛ إذ جمعت باحثين من خلفيات مختلفة، من أبرزهم فيلم ماثيسيوس، ونيكولاي تروبتسكوي، ورومان ياكوبسون، وبوهموسلاف هافرانك، ويان موكاروفسكي.

غير أن الحرب العالمية الثانية أحدثت تحولات عميقة في مسار هذه الحلقة؛ فقد أدت إلى اضطراب النشاط الجامعي والعلمي، ووفاة بعض أعلامها، وانتقال بعض الباحثين إلى بلدان أخرى، فضلا عن التحولات السياسية التي عرفتها تشيكوسلوفاكيا بعد الحرب.

وعلى الرغم من استئناف بعض أنشطتها العلمية بعد سنة 1945، فإن الحلقة لم تستعد الوضع الذي كانت تتمتع به قبل الحرب، بل دخلت مرحلة اتسمت بتراجع نشاطها المؤسسي والجماعي، مع استمرار تأثير عدد من مبادئها النظرية في اللسانيات والدراسات الأدبية

أولا: أثر الحرب العالمية الثانية في حلقة براغ:

أدت الحرب العالمية الثانية إلى إضعاف النشاط العلمي في أوروبا، وتضررت المؤسسات الجامعية والثقافية، كما تعرضت الحياة الأكاديمية في تشيكوسلوفاكيا لقيود شديدة في ظل الاحتلال النازي. وقد ترتب على ذلك تعطل بعض الأنشطة العلمية، وتراجع إمكانات التواصل بين الباحثين، وتوقف مجلة "أعمال حلقة براغ اللسانية" عن الصدور سنة 1943.

كما أسهمت الحرب في تفكك البيئة العلمية التي احتضنت الحلقة؛ فقد اضطر عدد من الباحثين إلى مغادرة أوروبا الوسطى، بينما تعذر على آخرين مواصلة نشاطهم في الظروف نفسها التي عرفوها قبل الحرب.

ومن أبرز هذه التحولات انتقال رومان ياكوبسون إلى الولايات المتحدة سنة 1941، بعد مغادرته أوروبا هربا من الاضطهاد النازي.

أما نيكولاي تروبتسكوي، أحد أبرز مؤسسي الفونولوجيا الحديثة، فقد توفي سنة 1938، في حين توفي فيلم ماثيسيوس في أبريل سنة 1945. وهكذا، انتهت الحرب وقد فقدت الحلقة عددا من الشخصيات التي أدت دورا محوريا في تأسيسها وتوجيه نشاطها.

ثانيا: استئناف نشاط حلقة براغ بعد سنة 1945

مثلت نهاية الحرب بداية مرحلة جديدة؛ إذ أُعيد فتح الجامعات التشيكية، واستؤنفت بعض الأنشطة العلمية، وعادت مجلة "أعمال حلقة براغ اللسانية" إلى الصدور سنة 1947. فقد كانت المجلة منبرا لنشر الدراسات اللسانية والأدبية، ولتداول الأفكار التي ارتبطت بالمنظور البنيوي الوظيفي.

كما شارك أعضاء الحلقة سنة 1948 في تقديم إجابات جماعية عن أسئلة مرتبطة بالمؤتمر الدولي السادس للسانيين في باريس.

وتكشف هذه الوقائع عن أن النشاط العلمي لم يتوقف نهائيا بانتهاء الحرب، بل استؤنف في بعض المجالات. لكن استئناف النشاط لم يكن مرادفا لاستعادة الوضع السابق؛ فقد تغيرت الظروف البشرية والمؤسسية والسياسية، وأصبحت الحلقة تواجه تحديات جديدة حدّت من قدرتها على مواصلة العمل الجماعي بالفاعلية نفسها.

فبعد تحرير براغ على يد الجيش الأحمر في مايو 1945 دخلت تشيكوسلوفاكيا في الجمهورية الثالثة (1945–1948)، من خلال ائتلاف الجبهة الوطنية بقيادة ثلاثة أحزاب اشتراكية، فقد تصاعد النفوذ الشيوعي في الجيش والحكومة، واضطرت الدولة نفسها لتصبح دولة تابعة للاتحاد السوفيتي في سنة 1948 من خلال انقلاب شيوعي. وفي هذه الفترة بدأ التقييد التدريجي لنشاط الحلقة.

تمثل سنة 1952 حدا مهما في تاريخ الحلقة؛ توقفت فعليا عن النشاط دون حل رسمي، وقد تزامن ذلك مع إنشاء الأكاديمية التشيكوسلوفاكية للعلوم، ومع إعادة تنظيم النشاط البحثي ضمن مؤسسات علمية جديدة. وفي هذا السياق، تراجع وجود الحلقة بوصفها جماعة مستقلة، وانتقلت أنشطة الباحثين إلى أطر مؤسسية أخرى من ذلك مثلا تأسيس "دائرة اللسانيات الوظيفية" بقيادة "بوهميل ترنكا"؛ والتي كانت تعمل في ظل الأكاديمية التشيكوسلوفاكية للعلوم، وحاولت الحفاظ على التقاليد البنيوية الوظيفية مع تجنب الصدام المباشر مع الأديولوجيا الماركسية.

على الرغم من تراجع نشاط الحلقة في مطلع خمسينيات القرن العشرين، فإن تاريخها لم ينتهِ عند هذه النقطة. فقد أعيد إحياء الحلقة سنة 1990، بعد التحولات

السياسية التي شهدتها أوروبا الوسطى والشرقية في نهاية ثمانينيات القرن العشرين. وقد أتاح ذلك استعادة بعض تقاليدها الفكرية، وإعادة النظر في منجزاتها، ومواصلة تطوير عدد من توجهاتها النظرية

ثالثا: أبرز أعلام حلقة براغ واستمرار تأثيرهم

أ. رومان جاكوبسون:

يُعد رومان جاكوبسون من أهم الشخصيات التي أسهمت في نقل التراث النظري لحلقة براغ إلى بيئات علمية أخرى. فقد انتقل إلى الولايات المتحدة سنة 1941، وواصل أبحاثه في الفونولوجيا واللسانيات العامة، كما انفتح على مجالات بحثية أخرى، منها نظرية التواصل واللغة الشعرية. وقد أسهمت أعماله في تطوير مفهوم السمات المميزة، وفي تعميق البحث في العلاقة بين النظام الصوتي والوظائف التواصلية. وتتمثل أهمية جاكوبسون في أنه يوضح كيف يمكن للمفاهيم التي نشأت داخل مدرسة علمية أن تستمر وتتطور في بيئات أكاديمية أخرى.

ب. بوهموسلاف هافرانك:

اهتم بوهموسلاف هافرانك بقضايا اللغة التشيكية المعيارية والثقافة اللغوية والأساليب الوظيفية. وتتبع أهمية أعماله من أنها تربط بين بنية اللغة ومجالات استخدامها الاجتماعي والثقافي. فلكل مجال من مجالات التواصل خصائص أسلوبية قد تميزه عن غيره؛ فاللغة المستخدمة في البحث العلمي تختلف في بعض خصائصها عن لغة المحادثة اليومية أو الخطاب الأدبي. ولا يعني ذلك أن لكل مجال لغة مستقلة تماما، بل إن اللغة الواحدة يمكن أن تتخذ أشكالا أسلوبية مختلفة بحسب الغرض والسياق.

ويكشف هذا الاتجاه عن استمرار المنظور الوظيفي في دراسة اللغة، وعدم اقتصاره على الفونولوجيا أو العلاقات الداخلية للنظام اللغوي.

ج. جوزف فاشيك

أسهم "جوزيف فاشيك" في دراسة التقاليد اللسانية البراغية وتوثيق تاريخها. وتبرز أهميته في المحافظة على التراث الفكري للحلقة والتعريف بمبادئها وإسهاماتها. كما كان له دور فعال في إعادة إحياء الحلقة رسميا سنة 1990.

د- بتر سغال: وهو عالم لساني تشيكي بارز من "الجيل الثاني" لمدرسة براغ. يتمثل إسهامه الجوهري أنه بعد الحرب العالمية الثانية، وخاصة في ظل الظروف السياسية والأكاديمية الصعبة، لم يحافظ على التقاليد الوظيفية لمدرسة براغ فحسب، بل قام أيضا بدمجها بشكل خلاق مع القواعد التوليدية لتشومسكي؛ مما أدى إلى إنشاء إطار "الوصف التوليدي الوظيفي"..

هـ. جان موكاروفسكي

يمثل جان موكاروفسكي أحد أهم الأسماء المرتبطة بامتداد مدرسة براغ إلى الدراسات الأدبية. وقد اهتم بالعمل الأدبي بوصفه بنية، وبالوظيفة الجمالية للغة، وبالعلاقات التي تربط العناصر داخل النص. ففي القصيدة، مثلا، لا تتولد الدلالة من معاني الكلمات منفردة فقط، بل من العلاقات بين الأصوات والإيقاع والتراكيب والصور.

رابعا: الأفكار اللسانية الكبرى للمرحلة المتأخرة من الحلقة

1- تتصور هذه المدرسة اللغة باعتبارها نظاما وظيفيا من العلامات يرمي إلى تمكين الإنسان من التعبير والتفاهم. وتأكد بعد الحرب أن هذا النظام ليس مغلقا بل دينامي يستجيب للتغير الاجتماعي.

مثال: تسمح اللغة العربية بقول: "ضرب عيسى موسى" و "ضرب موسى عيسى" دون لبس لأن الإعراب وظيفة تمييزية. حين دخلت أفعال جديدة مثل "برمج يبرمج"، قبلتها اللغة لأن الوظيفة اقتضتها، فالنظام منفتح.

2- التحليل الوظيفي للجملة والدينامية التواصلية:

طوّر لغويو براغ في هذه المرحلة (خاصة جان فيرباس وفرانتيشيك دانيش بتر سغال) فهما ثوريا للبنية النحوية يختلف عن النحو التقليدي. فالجملة في نظرهم ليست مجرد قالب جامد (مبتدأ وخبر، أو مسند إليه ومسند)، بل هي حدث تواصلي ديناميكي يهدف إلى نقل "معلومة جديدة" للمستمع عبر الاعتماد على ما هو "معلوم مسبقا"؛ وذلك من خلال الاعتماد على مفهومين أساسيين هما:

- **الموضوع (Theme)**: العنصر الذي يحمل أدنى درجة من "الديناميكية التواصلية" (المعلومة القديمة أو المألوفة التي تبدأ بها الجملة).
- **المحمول (Rheme)**: العنصر الذي يحمل أعلى درجة من "الديناميكية التواصلية" (المعلومة الجديدة والجوهرية التي جاءت الجملة لإيصالها).

مثال :

يتم في اللغة العربية تغيير ترتيب الكلمات لتحقيق وظيفة تواصلية معينة:

(أ): "رَجُلٌ" دخل من الباب. (المحمول أو المعلومة الجديدة هنا هي كلمة "رجل"، و"دخل من الباب" معلومة سياقية أو موضوع ضمني).

(ب): "الرجل" دخل من الباب. (كلمة "الرجل" هنا "موضوع " لأن السامع يعرفه أو يتحدث عنه مسبقا، بينما الفعل وما بعده هو "المحمول" أو المعلومة الجديدة المضافة عنه).

يدرس المنظور الوظيفي للجملة كيف يقوم المتكلم بتوزيع هذه الأدوار بناء على السياق، وهو ما مثّل النواة الأولى لما يُعرف اليوم بـ "تحليل الخطاب"

3 – ثنائية اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة

ركز جوزيف فاشيك أحد أبرز أعلام المرحلة الثانية، على دراسة العلاقة بين اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة، ورفض الفكرة السائدة آنذاك بأن الكتابة مجرد "نسخة ثانوية" باهتة للصوت. وأكد أن اللغة المكتوبة لها معاييرها المستقلة ووظائفها الخاصة التي تؤثر بدورها على تطور النظام اللغوي ككل.

مثال:

نجد في اللغة الإنجليزية كلمات تُكتب بطريقة ولا تُنطق بنفس الطريقة تماما (مثل كلمات تحتوي على حروف صامتة مثل knight أو knife أو know أو listen).

يفسر فاشيك ومدرسُة براغ هذا الأمر بأن اللغة المكتوبة تحافظ على استقرار النظام المعنوي، بينما اللغة المنطوقة تتغير بسرعة بسبب التطور الصوتي. فالنظام اللغوي ليس ثابتا، بل هو "نظام في حالة توازن متحرك")، حيث تسعى اللغة دائما للتوفيق بين الحاجة إلى الاستقرار (عبر الكتابة والقواعد) والحاجة إلى التغير والتكيف (عبر الكلام والاستعمال اليومي).

4- نظرية "المركز والهامش":

طرح فرانسيك دانيش في ستينيات القرن الماضي مفهوم "المركز والهامش" كآلية لتفسير التغير اللغوي. فاللغة، كما يرى، ليست نظاما متجانسا، بل تتكون من "مركز" مستقر و"هامش" غير مستقر. فالتغيرات التاريخية تنشأ غالبا في الهوامش ثم تتسرب إلى المركز.

قدم هذا المفهوم أداة تحليلية قوية للتوفيق بين التزامن والتطور التاريخي، وهو ما عُرف بـ "التزامن الديناميكي") لدى المدرسة البراغية.

مثال:

المركز: كتب / يكتب/ كتابة، مهندس/ مهندسون

الأطراف: برمج/ يبرمج، فيسبوكات، سنابات، فيديوهات (دخيل جُرب في الطرف قبل دخوله المركز)

رابعا: أهم الانتقادات الموجهة للمرحلة المتأخرة

1. يعاب على هذه المرحلة بأنها وصفية تصنيفية وليست تفسيرية. فهي تصف أن الجملة فيها موضوع ومحمول لكن لا تولد آليا كل الجمل الممكنة.

2. تصف الحلقة ما هو منتظم وشاذ لكن لا تتنبأ بمتى ينتقل عنصر من الطرف إلى المركز. فهي لا تجد تفسيرا لماذا قبلت العربية "تلفاز" ورفضت "راديو" كـ "مذياع"؟

3. كل أمثلة براغ من التشيكية والإنجليزية والروسية. فهي لم تدرس العربية أو اللغات النغمية الإفريقية إلا متأخرا.

مثلت المرحلة الثانية لحلقة براغ اللسانية "جسر العبور الحقيقي" من البنيوية الشكلية المبكرة إلى اللسانيات النصية والتداولية المعاصرة. فعلى الرغم من القسوة السياسية والشتات الذي عانت منه بعد الحرب العالمية الثانية، أثبتت المدرسة مرونة عالية مكنتها من حماية الإرث الوظيفي وتطويره ليصبح رافدا أساسيا من روافد علم اللغة الحديث في أوروبا والعالم

مراجع المحاضرة:

1- مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات.

2- أحمد مختار عمر، محاضرات في علم اللغة الحديث.

3- مريم بوقرة، اللسانيات الوظيفية في الكتابات العربية الحديثة أحمد المتوكل أنموذجا، أطروحة دكتوراه، إشراف: صورية جغبوب.

4- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور.

5- https://publish.iupress.indiana.edu/read/untitled-2fca886d-22e4-49b8-8aac-b1d627f82ff5/section/8a88d7c

6- https://www.degruyterbrill.com/document/doi/10.1515/css-2023-2028/html

7- https://repozytorium.amu.edu.pl/items/1a2a76da-4391-4b1a-81a5-9f79e43840a1

8- https://eer.cz/artkey/eer-201302-0001_le-structuralisme-fonctionnel-pragois-face-au-stalinisme-bouleversements-soubresauts-et-paradoxes.php